

الدور السياسي للمسجد وعلاقته بتنمية المجتمع الإسلامي

The political role of the mosque and its relationship to the islamic nation's development

بوشرة صانبة، دكتورة في القانون العام كلية العلوم القانونية والاقتصادية والاجتماعية، جامعة سيدي

محمد بن عبد الله-فاس

Bouchrasanba85@gmail.com

تاريخ النشر: 05 فبراير 2021

ملخص

يعتبر المسجد في المفهوم الإسلامي مقرا لإعلان العبودية لله جل وعلا، قال تعالى: ﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾، والعبادة في الإسلام لا تقتصر فقط على أداء الصلاة والدعاء وإنما هي شاملة جامعة لحياة الإنسان العابد لله تعالى، ويدخل من ضمنها النصح والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وأخذ العلوم المتنوعة، ... قال عز وجل: ﴿قُلْ إِنْ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾. فالمسجد بهذا المفهوم يعمل على صناعة الحياة لأفراد المجتمع. والتاريخ شاهد على ذلك والأمثلة على ذلك كثيرة، مثل جوامع الألف، وجامع الأزهر، والجامع الأموي في دمشق، وجامع المنصور ببغداد، وجامع القرويين في فاس بالمغرب الذي امتاز بتوفره على نظام تعليمي جامعي، وديموقراطية التعليم، والصرامة في طرق التدريس، فقد كان يتبع شروط دقيقة للتعيين في وظائف التدريس وتخصيص كراسي الأستاذية والإجازات الفخرية. لم يقتصر دور المسجد على تهذيب النفوس وتعليم العلوم فقط وإنما كان يعد مركزا لقيادة الأمة، فقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدير سياسة الأمة الإسلامية من المسجد، ويرسل الجيوش منه، ويتم فيه استقبال الوفود. وكان مقر الحكم الذي تتم فيه المعاهدات وقرارات الحرب والقضاء، وكذلك كان الأمر في عهد الخلفاء الراشدين من بعده. وأبطال الأمة وقادتها الذين نهضوا بالإسلام. فكانت بذلك الأمة الإسلامية أمة عظيمة وصل مجدها إلى بقاع العالم المختلفة. غير أن الناظر في تاريخ المسلمين يجد أن هذه الأدوار وغيرها كثير قد بدأت في الانحسار والتراجع منذ سقوط الخلافة الراشدة وانتقال الأمة إلى مرحلة الحكم العاظم، ليتم تغييبها في العصر الحالي. وتكمن أهمية هذه الدراسة في كونها تسلط الدور على أدوار المسجد المختلفة ومن بينها دوره السياسي وأهميته في استرجاع مجد الأمة الإسلامية الضائع. وإحداث التغيير والتنمية ك مطلب أساسي لازدهار الأمم. وهو بذلك يجب عن إشكالية مفادها: ماهي أدوار المسجد التي أوجده الله من أجلها؟ و إذا كان محجا للمسلمين من أجل أداء فريضة الصلاة فأى علاقة له بالسياسية؟

الكلمات المفتاحية: المسجد، الإسلام، التنمية، السياسة.

Abstract

In the Islamic concept, the mosque is considered a seat for the proclamation of servitude to God Almighty. The Almighty said, "And that the mosques are for God, do not pray with

anyone but God". Worship in Islam is not limited to performing prayers and supplication, but rather it is comprehensive and inclusive of people's life who worship God Almighty. As well, it includes advice and command. The Almighty said: "Say: my prayers, my life and my death are for God, Lord of the worlds". The mosque, in this sense, works to create life for members of society. History and many examples are witness to this, such as the Alif Mosque, Al-Azhar Mosque, the Umayyad Mosque in Damascus, Al-Mansour Mosque in Baghdad, and the Al-Qarawiyyin Mosque in Fez, Morocco, which was distinguished by providing a university educational system, instilling the democracy of education, adopting rigor in its teaching methods and using accurate conditions for appointment to teaching positions, assignment of professorships and honorary vacations. The role of the mosque was not limited to cultivating souls and teaching sciences only, but rather it was considered a center for the leadership of the nation. The Messenger of God, may God's prayers and peace be upon him, administered the Islamic nation's policy from the mosque, sent armies from it, and delegations were received there. It was the seat of government in which treaties and decisions of war and judiciary are concluded. So was the case during the era of the Caliphs after him, heroes and leaders of the nation who rose to Islam. Thus the Islamic nation was a great nation whose glory reached different parts of the world. However, the scholars in the history of Muslims find that these roles and many others have begun to fade away since the fall of Caliphate Erato the stage of degeneracy and corruption. The importance of this study lies in the fact that it sheds light on the various roles of the mosque: them its political role and its importance in restoring the lost glory of the Islamic nation to bring about change and development as a prerequisite for the prosperity of nations. In this way, it answers the following problematic: What are the roles of the mosque that God created them for? And if the mosque is a pilgrimage for Muslims in order to perform the ritual prayer, what is its relationship to politics?

Keywords: Mosque, Islam, Development, Politics

مقدمة

يعرف المسجد بأنه: "اسم مكان يصلي الناس فيه كجماعات، أو البيت الذي يسجد ويتعبد فيه للصلاة، فكل موضع يتعبد فيه فهو مسجد"¹. وقيل المسجد: "اسم للأبنية المتخذة في الإسلام للصلاة، ومثله الكنائس لليهود، والبيع للنصارى"² والمساجد هي بيوت الله تعالى في الأرض قال تعالى: "و أن المساجد لله فلا تدعو مع الله أحدا"³. لذلك أولها الشارع الحنيف اهتماما بالغا، فرغب في تشييدها، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من بنى مسجدا لله بنى الله له في الجنة مثله"⁴. وقد كان أول ما وضعه الله تعالى في الأرض بعد خلقها هو البيت الحرام، فجعله مستقبلا للبيت المعمور في السماء⁵. ثم أمر الله تعالى بعد ذلك سيدنا إبراهيم ببناء الكعبة، فقام ببناؤها مع ابنه اسماعيل عليهما السلام⁶. ورسول الله

¹ - تاج العروس من جواهر القاموس، الحسيني، تحقيق: مجموعة من المحققين، مجلد 8، ص 174

² - نزهة الأعين، النواظر في علم الوجوه والنظائر، ابن الجوزي، تحقيق: محمد عبد الكريم كاظم الراضي، مجلد 1، ص 567.

³ - سورة الجن الآية 18

⁴ - رواه البخاري ومسلم

⁵ - قال الله تعالى: "أن أول بيت وضع للناس للذي ببكة مباركا وهدى للعالمين" سورة آل عمران الآية 96

⁶ - قال تعالى: "وإذ يرفع إبراهيم القواعد من البيت واسماعيل ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم" سورة البقرة الآية 127

صلى الله عليه وسلم لم يستقر به المقام في قباء حتى قام ببناء مسجد قباء⁷. وعندما وصل إلى المدينة بنى مسجده صلى الله عليه وسلم، وأقام سكنه فيه. ولم يكن من العسير عليه صلى الله عليه وسلم أن يتخذ سكنه في مكان آخر قريب من المسجد، ولكنه أراد أن يكون مقامه الشريف داخل المسجد نفسه، ليصبح المسجد المركز السياسي للجماعة. فقد اتخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم مسجده مقراً لقيادة الدولة، وإعداد الخطط العسكرية، وإصدار القرارات والأوامر، وكان ذلك بوحى من الله تعالى الذي يعلم بأنه سيأتي بعد نبيه قوم من أمته ممن يدعون إلى التفريق بين الدين والدنيا، والعبادة والسياسة⁸. وهذا ما يدل على أهمية المساجد في الإسلام والدور الكبير الذي تقوم به، سواء فيما يتعلق بتكوين شخصية الفرد والمحافظة على الفطرة، وإكسابه مكارم الأخلاق من احترام للكبير، وحسن معاملة الصغير، ويقوي شخصية المسلم الدينية ووصوله إلى مراتب الإيمان العليا. والتاريخ يخبرنا عن طينة الرجال الذين صنعتهم المساجد، فطهرت قلوبهم، وصدق حديثهم، وعفت أجسامهم، وكانوا دائمي الوفاء بعهودهم، متحملين لمسئولياتهم. قال تعالى "كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء إنه من عبادنا المخلصين"⁹. كما يقوم المسجد بدور مهم جداً في بناء المجتمع الإسلامي، وذلك من خلال التوجيه والإرشاد والدعوة والتبليغ، ونشر العلم بين المسلمين، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وذلك في كل ما يتعلق بشؤون الدولة الإسلامية. فرسول الله صلى الله عليه وسلم لم يجعل المسجد حكراً على أداء الشعائر الدينية، وإنما جعله شاملاً لكل ما له علاقة بالشعائر التعبدية، وغيرها من سياسة الدولة أيضاً. وفي هذا تعليم منه صلى الله عليه وسلم لأئمة بأن الدين شامل لكل ما فيه خير للبشرية، ولو كان الأمر غير ذلك لما ناقش شؤون الدولة في المسجد ولأقام من أجل ذلك مكاناً أو بيتاً خصاً.

إن فالمسجد بحسب الوظائف المنوطة به يعد مكاناً يقيم فيه المسلمون صلاتهم، وهو مكان تلقى التوجيه التربوي، وحل المشاكل الاجتماعية، وتدارس أمور المسلمين و أوضاعهم، و تقديم المشورة و الرأي من طرف أولي العلم والفهم.

لكن وللأسف الشديد نلاحظ أن المساجد في وقتنا الراهن لم تعد تلعب الدور الذي أوجدها الله من أجله، اللهم ما تعلق بالدور التعبدية من أداء فريضة الصلاة، وخطب الجمعة التربوية التي تتماشى و ما يخدم النظام الحاكم في البلد، من منطلق التفريق بين الدين والسياسة.

إشكالية البحث

وإيماناً منا بمحورية المسجد وضرورته في تحقيق الازدهار والنماء للمجتمع المسلم، من خلال تفعيل مختلف أدواره التربوية، التوجيهية، السياسية، الفكرية، التعليمية، تقديم الشورى ... تتجلى أهمية البحث الذي بين أيدينا في كونها دراسة تسلط الضوء على أدوار المسجد المختلفة ومن بينها دوره السياسي وأهميته في استرجاع مجد الأمة الإسلامية الضائع. وإحداث

⁷ - هو أول مسجد بني في المدينة لعموم الناس.

⁸ - حمدان رمضان محمد، دور المسجد في تحقيق الاندماج السياسي في المجتمع العراقي المعاصر - دراسة تحليلية من منظور اجتماعي - مجلة كلية العلوم الإسلامية، العدد الثالث عشر، المجلد السابع، 2013/1434.

⁹ - سورة يوسف، الآية 24

التغيير والتنمية كمطلب أساسي لازدهار الأمم. وتجب على إشكالية مفادها: ماهي أدوار المسجد التي أوجده الله من أجلها؟ و إذا كان محجا للمسلمين من أجل أداء فريضة الصلاة فأى علاقة له بالسياسية؟

فرضيات البحث

✚ يلعب المسجد عددا من الأدوار في حياة المسلمين، منها ما هو تربوي، و منها ما هو سياسي، بالإضافة إلى كونه فضاء تعليمي و فكري.

✚ يرتبط المسجد بالسياسة ارتباطا وطيدا فهو يعد برلمانا يلتقي فيه المسلمون لتدارس أمور الأمة

✚ المسجد ليست له علاقة بالسياسة فهو مكان مخصص لأداء فريضة الصلاة لا غير

أهداف و أهمية الدراسة

من أجل الإحاطة بإشكالية البحث والتحقق من فرضياته ارتأى الباحث تناول البحث من خلال التطرق لرسالة المسجد في الحياة و إسهامه في تجديد الدين، وأهميته في غرس الإيمان، وإعادة صياغة الشخصية المسلمة، و بناء و تعزيز أواصر الإخاء و المحبة بين الناس، بما في ذلك خطب المسجد و الحلق التي تكون فيه و دورها التربوي والتعليمي.

فيما سوف يتم تسليط الضوء على علاقة المسجد بالسياسة، و إبراز مدى ارتباط الدين بالسياسة وأهمية هذا الارتباط في جعل المسجد يؤدي دوره الحقيقي المنوط به.

منهجية البحث

وقد اتبعنا من أجل ذلك المنهجين التاريخي و الاستقرائي معا من خلال جمع المادة الخام من السيرة النبوية الشريفة وتحليلها وتركيبها، وصياغتها صياغة تلائم التصور العام للبحث.

المحور الأول: رسالة المسجد في الحياة

إن الحديث عن رسالة المسجد¹⁰ ودوره في ريادة المجتمع، موضوع ذو أهمية كبرى في وقتنا الحالي، نظرا لما تواجهه المجتمعات الإسلامية من غزو ثقافي، اجتماعي وسياسي خطير أحدث خلالا لا يمكن استدراكه إلا بالرجوع إلى ثقافتنا الإسلامية وديننا الحنيف. وأداء صلاة الجماعة في المسجد خمس مرات في اليوم، يجعل مكانته جد مهمة في الإسلام ولدى المسلمين. فالمسجد إذن هو مقر الصلاة المكتوبة ولا يتخلف عنه بدون عذر مقبول إلا منافق، لذلك كان الصحابة رضوان الله عليهم يخشون على أنفسهم من النفاق فكانوا لا يتخلفون عن صلاة الجماعة حتى وهم مرضى. قال ابن مسعود رضى الله عنه: "من سره أن يلقى الله غداً مسلماً، فليحافظ على هؤلاء الصلوات حيث ينادى بهن، فإن الله شرع لنبيكم سنن

¹⁰ - وردت كلمة مسجد في القرآن الكريم بالإفراد والجمع في ثمان وعشرون مرة

الهدى، وإنهن من سنن الهدى، ولو أنكم صليتم في بيوتكم، كما يصلي هذا المتخلف في بيته، لتركتم سنة نبيكم، ولو تركتم سنة نبيكم لضللتم، وما من رجل يتطهر فيحسن الطهور، ثم يعمد إلى مسجد من هذه المساجد، إلا كتب الله له بكل خطوة يخطوها حسنة، ويرفعه بها درجة، ويحط عنه بها سيئة، ولقد رأيتنا وما يتخلف عنها إلا منافق معلوم النفاق، ولقد كان الرجل يؤتي به يهادي بين الرجلين، حتى يقام في الصف¹¹. كما يحج الناس إلى المسجد في يوم عيد المسلمين الأسبوعي (يوم الجمعة)، وهم متطهرين آخذين كل زينتهم من أجل حضور صلاة الجمعة والسماع لخطبتيها. هذه الخطبة التي يتم السماع إليها دون لغو أو عبث، يمكن استثمارها لمناقشة كل ما يهم المسلمين من أمور تعبدية وجهاد في سبيل الله، والحديث عن أساليب الدعوة إلى الله، وعن مكر أعداء الله ووسائل الوقوف ضدهم، وتقييم أداء المسؤولين وتقديم التوجيه والمشورة لهم. فخطب الجمعة وحدها تعد مدرسة مستمرة إلى يوم القيامة، لو حسن القيام بها، ووجد الخطيب الكفاء في جوامع المسلمين، وأعطى له حرية الكلام دون حدود وقيود.

وتتجلى المهمة التربوية التعليمية للمسجد من خلال القرآن والسنة معاً، قال الله تعالى: "لمسجد أسس على التقوى من أول يوم أحق أن تقوم فيه"¹². وقال أيضاً: "في بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه يسبح له فيها بالغدو والآصال"¹³. وقال صلى الله عليه وسلم يحث على التعليم والتعلم ويرغب فيه: "ما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه فيما بينهم إلا حفتهم الملائكة وغشيتهم الرحمة ونزلت عليهم السكينة وذكرهم الله فيمن عنده"¹⁴

وبعد رسول الله صلى الله عليه وسلم أول من اتخذ من المسجد مكاناً للدعوة والتعلم، ونظراً لاضطهاد المشركين له ومنعه من المسجد الحرام في أول الأمر فقد اتخذ من بيته صلى الله عليه وسلم ومن دار الأرقم ابن الأرقم مكاناً لنشر الدعوة الإسلامية، وتعليم الصحابة رضوان الله عليهم تعاليم الإسلام. وبعدما تم تشييد المساجد بعد الهجرة انتقل إليها صلى الله عليه وسلم بنشاطه الديني والتعليمي. فكان مسجده صلى الله عليه وسلم مقراً تعليمياً لأئمة قولاً وعملاً، وكان أصحابه يتحلقون حوله، ليسمعوا حديثه، ورسول الله صلى الله عليه وسلم يُعلم الناس بكلامه، ويعلمهم بفعله ليعملوا كما يعمل. ومن أساليب تعليمه صلى الله عليه وسلم الناس أنه كان يسألهم، وهو يعلمهم، ليشحذ أذهانهم، ويهيئهم للإصغاء لما يقول لهم، ويضرب لهم الأمثال، ليقرب لهم المعاني التي يريد أن يفهموها. قال تعالى: "لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ، وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ"¹⁵. وقد أكد رسول الله صلى الله عليه وسلم على مكانة المسجد التربوية حين دخل صلى الله عليه وسلم المسجد يوماً، فإذا به يرى حقتين: إحداهما لأناس يقرؤون القرآن ويدعون الله، وأخرى يتعلمون ويعلمون. فقال المصطفى صلى الله عليه وسلم: "كل على خير، هؤلاء يقرؤون القرآن ويدعون الله، فإن شاء أعطاهم وإن شاء منعهم. وهؤلاء يتعلمون ويعلمون، وإنما بعثت معلماً"

11 - رواه مسلم

12 - سورة التوبة، الآية 108

13 - سورة النور الآية 36

14 - رواه أبو داود في سننه، باب الصلاة

15 - سورة الجمعة، الآية 2

فجلس معهم¹⁶. ومن مزايا التعليم في المسجد أنه مكان يكتنفه جوّ عبادي، يشعر المعلم فيه والمتعلم والسامع، أنهم في بيت من بيوت الله، فيكونون أقرب إلى الإخلاص والتجرد والنية الحسنة، لا يقصدون . في الغالب . من التعلم والتعليم إلا وجه الله، و التفكير في الدين، وأداء العمل على وجهه الصحيح، والدعوة إلى الله، والجهاد في سبيله، متجردين من مطامع الدنيا فلا يرجون من وراء ذلك مغنماً ولا جاهاً ولا منصباً. ولذلك يكتسب كثير من علماء المسجد غزارة العلم وحفظه وإتقانه في أوقات قصيرة. كما يتميز التعليم في المسجد بشعبيته، فهو يسع الجميع في رحابه، ليلاً ونهاراً شتاءً وصيفاً، صغيراً وكبيراً، ولا يحتاج دخوله لأداء أي رسوم. كما أن مجالات تعليمه تشمل كل العلوم الدينية، أدبية، فكرية ... ولا أحد ينكر المكانة العلمية لكل من جامع الأزهر في مصر، وجامع القرويين في المغرب، وجامع الزيتون في تونس، وما قدمته هذه الجوامع من خدمات علمية وثقافية مهمة. فالمسجد يعد مناخاً طيباً من أجل إنتاج مجتمع طاهر. لأن آثاره مهمة في بناء الشخصية الإسلامية إذ أن من اختلاط الأفراد بعضهم ببعض في نظام اجتماعي متين، قوامه المشاركة والتعاون للنهوض بالمبادئ السامية، من خلال الترتيب والتنظيم والنظافة، وطاعة المأمون للإمام¹⁷ واحترام الصغير للكبير، واللين في معاملة الصغير، تترسخ هذه المفاهيم وتتجذر في شخصية الفرد. فینمو هذا الأخير نمواً صحيحاً لا مشاكل فيه ولا تعقيداً في حياته، ولا اضطراباً في شخصيته، ويثبت على الإيمان متسلحاً به على مختلف مراحل الحياة لا فرق فيها بين الطفولة والمراهقة والكهولة.

إلى جانب الوظيفة التربوية التعليمية للمسجد فقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو فيه المسلمين إلى الجهاد ويشاورهم فيه، ويلبس سلاحه وينطلق بهم إلى ساحة المعركة من المسجد كما ينطلق إلى الحج. وعندما ارتدت العرب بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم، وخشي أبو بكر أن يغزوا المدينة، جعل على أنقابها [مداخلها] حراساً، وألزم الناس بحضور المسجد، ولما علم بغارة العدو خرج في أهل المسجد على النواضح، واتبعوا العدو حتى هزمهم¹⁸.

وقد روى البخاري أن الحبشة كانوا يلعبون بحرابهم في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم، والنبي ينظر إليهم ويرى عائشة أم المؤمنين لعبهم، وكان ذلك لم يعجب عمراً لشدته وصلابته، فأهوى إلى الحصباء يحصبهم بها، فقال: "دعهم يا عمر". وبهذا الحديث استدلت العلماء على جواز اللعب بالحراب في المسجد، وقالوا: إن المسجد موضوع لأمر جماعة المسلمين-فما كان من الأعمال يجمع منفعة الدين وأهله جاز فيه. وقالوا أن "اللعب بالحراب ليس لعباً مجرداً، بل فيه تدريب الشجعان على مواقع الحروب والاستعداد للعدو"¹⁹. كما قد أقر رسول الله صلى الله عليه وسلم بعض أصحابه، أن

¹⁶ - محمد كمال علوية المسلمي، الوظيفة التربوية للمسجد في ظل المتغيرات المجتمعية المعاصرة، مجلة كلية التربية ببور سعيد، العدد السابع، يناير 2010، ص 345

¹⁷ - إسرائ موسى محمد سليمان، المساجد ودورها في بناء الفرد والمجتمع-دراسة موضوعية، قدم هذا البحث استكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير في التفسير وعلوم القرآن بكلية أصول الدين في الجامعة الإسلامية بغزة، ديسمبر 2017، ص 47.

¹⁸ - عيد الله قادي الأهدل، دور المسجد في التربية، موقع إلكتروني: <https://books-library.online/a-6312-download>

¹⁹ - يوسف القرضاوي، العبادة في الإسلام، مكتبة وهبية، القاهرة، الطبعة الرابعة والعشرون، 1416-1995، ص 237

يتصدق بالسلاح في مسجده، كما روى جابر رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، "أنه أمر رجلاً كان يتصدق بالنبل في المسجد، أن لا يمر بها إلا وهو آخذ بنصولها"²⁰.

إن المسجد بهذا المعنى يعد منبرا للدعوة إلى الله تعالى و ما تقتضيه تلك الدعوة، وتجسيدا لها منذ بعثة رسول الله صلى الله عليه وسلم وإلى أن تقوم الساعة، لأنه بكل اختصار أساس تربية الفرد وبناء المجتمع. فهو ليس ديرا لرهبنة، ولا زاوية للمتعتلين، ولا تكية لل دراويش، فليس في الإسلام رهبنة ولا دروشة²¹. مصداقا لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم لأبي ذر: "عليك بالجهاد فإنه رهبانية أمتي"²².

المحور الثاني: المسجد والسياسة، أية علاقة ؟

يرتبط الدين بالسياسة ارتباطا وثيقا في الإسلام، فالشريعة الإسلامية عقيدة شاملة يهتدي بها الأفراد في شؤونهم الدينية والدنيوية. فالله تعالى أمر المؤمنين بأمر وكلفهم تكليفا. من التكاليف ما هو منوط بزمة الفرد كالصلاة والصيام، ومنها ما لا يمكن القيام به إلا بتعاون جماعة المؤمنين، كالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والجهاد في سبيل الله²³. يقول الأستاذ عبد السلام ياسين رحمه الله: "في عهد النبوة كانت الدعوة والدولة قضية واحدة، فكان من مقتضيات نشر الدعوة أن ينتظم المسلمون في أمور عباداتهم ومعاملاتهم ومعاشهم وجهادهم حول مطاع واحد. في شخصه الكريم تجتمع معاني الرحمة المهداة، وبيده الكريمة مقاليد الأمر والنهي، أمر ونهي جميع غير شتيت، الكل دين، لا فصل في فقه الصحابة رضي الله عنهم بين الدنيوي والديني"²⁴. فقد كان مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم مدرسة للدعوة الإسلامية، وفي نفس الوقت دارا للدولة الإسلامية المجيدة، تخرج منها الخلفاء، والقياد، والعلماء. هكذا إذن كان المسجد في عهد رسول الله وفي عهد الخلفاء الراشدين من بعده. فإلى جانب كونه معهدا للتربية العلمية والعملية، ومجمعا للتحاب، فهو يعد كذلك برلمانا محليا للتشاور والتوجيه والتقرير. يقول الشيخ يوسف القرضاوي: "أى برلمان كهذا المسجد، ونوابه هم "التائبون العابدون الحامدون السائحون الراكعون الساجدون الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر والحافظون لحدود الله"²⁵. برلمان يعرض فيه الحاكم سياسته، ويحدد منهجه، ويناقشه الشعب ويستجوبه بلا حرج ولا خوف. وهل سمعنا خطبة سياسية جامعة موجزة لرئيس دولة كالخطبة التي ألقاها أبو بكر يوم ولي الخلافة، فقال: "أيها الناس إني وليت عليكم ولست بخيركم فإن رأيتوني على حق فأعينوني، وإن رأيتوني على باطل فسدوني، ألا إن أقواكم عندي الضعيف حتى آخذ الحق له، وأضعفكم عندي القوي حتى آخذ الحق منه، أطيعوني ما أطعت الله فيكم، فإن عصيته فلا طاعة لي عليكم، أقول قولتي هذا وأستغفر الله لي

²⁰ - رواه مسلم

²¹ - يوسف القرضاوي، العبادة في الإسلام، مكتبة وهبية، القاهرة، الطبعة الرابعة والعشرون، 1416-1995، ص 236-237.

²² - رواه ابن حبان والحاكم

²³ - عبد السلام ياسين، العدل "الإسلاميون والحكم"، مطبوعات الصفاء للإنتاج، الطبعة الأولى، 2000، ص 68.

²⁴ - عبد السلام ياسين، العدل "الإسلاميون والحكم"، مرجع سابق، ص 69.

²⁵ - سورة التوبة، الآية 113

ولكم". بيان ألقاه خليفة يقول فلا يكذب، ويعد فلا يخلف، وسمعته أمة تسمع ولا تنسى، وتحاسب فلا تخشى، وكيف يخلف الخليفة وتنسى الأمة وبرلمانها يعقد في كل يوم خمس جلسات، ولا يعلق بابه في عطلة أو إجازة؟²⁶.

و هاهو ذا الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه يربي الناس في المسجد على قول الحق ونبذ الباطل، حتى لا تزيع به نفسه، ويخنس بهم الخوف من السلطان عن الشهادة بالقسط. فقد أخرج ابن عساكر وأبو ذر الهروي عن النعمان بن بشير رضي الله عنه أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال في مجلس وحوله المهاجرون والأنصار: "أرأيتم لو ترخصت في بعض الأمور ما كنتم فاعلين؟" فسكتوا فقال ذلك مرتين أو ثلاثا. فقال بشير بن سعد: لو فعلت ذلك قومناك تقويم القدح (وهو عود السهم)، فقال عمر: أنتم إذا، أنتم إذا". يعقب الأستاذ عبد السلام ياسين رحمه الله هذا على الكلام فيقول: "أنتم إذا الرجال المؤمنون إذ تقومون ما اعوج"²⁷. كان إذن الرسول صلى الله عليه وسلم وخلفاؤه الراشدون ومن تبعهم لا مقر لهم يسوسون الأمة منه إلا المسجد، كما قال ابن تيمية رحمه الله: "وكانت مواضع الأئمة ومجامع الأمة هي المساجد، فإن النبي صلى الله عليه وسلم أسس مسجده المبارك، على التقوى ففيه الصلاة والقراءة، والذكر، وتعليم العلم، والخطب، وفيه السياسة، وعقد الألوية والرايات، وتأمير الأمراء، وتعريف العرفاء، وفيه يجتمع المسلمون لما أهمهم من أمر دينهم ودنياهم، وكذلك عماله في مثل مكة، والطائف، وبلاد اليمن وغير ذلك من الأمصار والقرى، وكذلك عماله على البوادي، فإن لهم مجمعاً فيه يصلون وفيه يساسون، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم (إن بني إسرائيل كان تسوسهم الأنبياء، كلما ذهب نبي خلفه نبي، وإنه لا نبي بعدي، وستكون خلفاء تعرفون وتتكرون) قالوا: فما تأمرنا؟ قال: (أوفوا ببيعة الأول فالأول، وأسألوا الله (ما) لكم، فإن الله سائلهم عما استرعاهم) وكان الخلفاء والأمراء يسكنون في بيوتهم كما يسكن سائر المسلمين في بيوتهم، لكن مجلس الإمام الجامع هو المسجد الجامع"²⁸

لابد إذن وأن تكون قد تجلت بوضوح تلك العلاقة التي تربط المسجد بالفعل السياسي في المجتمع المسلم والتي تنطلق من اهتمام الدين بالإنسان والمجتمع، وتوجيهاته السياسية في حالة السلم كما في حالة الحرب. وهذا ما يفسر أن أغلبية المظاهرات والاحتجاجات والتجمعات في العصر الحالي تنطلق من المسجد.

خاتمة

إن الشعوب الإسلامية لا يمكنها استرجاع مجدها، وأداء الأمانة الملقاة على عاتقها المتمثلة في إقامة العدل وسيادة الأمن والأمان على الأرض دون الرجوع إلى المساجد، وإحياء الدور المنوط بها المتمثل في التعليم والتهديب والتقويم في مختلف المجالات (ثقافية، اجتماعية، اقتصادية، سياسية...) لأن ذلك هو السبيل للبقاء مع القرآن، ومع الشرع، ففي المسجد "رجالا

²⁶ - يوسف القرضاوي، العبادة في الإسلام، مرجع سابق، 239.

²⁷ - عبد السلام ياسين، العدل "الإسلاميون والحكم"، مرجع سابق، ص 74.

²⁸ - عيد الله قادري الأهدل، دور المسجد في التربية، موقع إلكتروني: <https://books-library.online/a-6312-download>

لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة يخافون يوماً تتقلب فيه القلوب والأبصار ليجزيهم الله أحسن ما عملوا ويزيدهم من فضله والله يرزق من يشاء بغير حساب²⁹.

فَعَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ، قَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : "خُذُوا الْعَطَاءَ مَا دَامَ عَطَاءً، فَإِذَا صَارَ رِشْوَةً فِي الدِّينِ فَلَا تَأْخُذُوهُ، وَلَسْتُمْ بِتَارِكِيهِ؛ يَمْنَعُكُمُ الْفَقْرَ وَالْحَاجَةَ، أَلَا إِنَّ رَحَى الْإِسْلَامِ دَائِرَةٌ، فَدَوِّرُوا مَعَ الْكِتَابِ حَيْثُ دَارَ، أَلَا إِنَّ الْكِتَابَ وَالسُّلْطَانَ سَيَفْتَرِقَانِ، فَلَا تُفَارِقُوا الْكِتَابَ، أَلَا إِنَّهُ سَيَكُونُ عَلَيْكُمْ أَمْرًا يَقْضُونَ لِأَنْفُسِهِمْ مَا لَا يَقْضُونَ لَكُمْ، إِنْ عَصَيْتُمُوهُمْ قَتَلُوكُمْ، وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ أَضَلُّوكُمْ قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، كَيْفَ نَصْنَعُ؟ قَالَ: " كَمَا صَنَعَ أَصْحَابُ عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ، تُشِيرُوا بِالْمَنَاشِيرِ، وَحَمِلُوا عَلَى الْخَشَبِ، مَوْتٌ فِي طَاعَةِ اللَّهِ خَيْرٌ مِنْ حَيَاةٍ فِي مَعْصِيَةِ اللَّهِ"

التوصيات

ويمكن أن نجمل أهم التوصيات والخلاصات التي خلص إليها البحث كالآتي:

✚ إن الطريق الأسرع لنجاح التنمية في المجتمعات المسلمة وتقدمها هو استغلال طاقات وقدرات مختلف الأفراد والقوة الشعبية المتواجدة في المجتمع وهذا يكون بإعادة الدور الحقيقي للمسجد.

✚ ضرورة أن تعم روح المسجد جميع مجالات الحياة السياسية والاقتصادية والعلمية والاجتماعية والإعلامية.

✚ إعطاء الأهمية للمسجد كمؤسسة للدعوة إلى جانب مؤسسات الدولة المختلفة باعتباره مؤسسة دعوة ذات قوة، هذه القوة تستمدتها مؤسسة الدعوة من قوة الشعب المسلم اليقظ المراقب لمؤسسات الدولة الأخرى.

✚ باعتبار أهمية خطب الجمعة في إرساء القيم والأخلاق وتوعية المجتمع، يجب وضع الشروط العلمية الضرورية لتعيين خطباء يتمتعون بالكفاءة والقدرة على الإقناع من أجل حسن التوجيه، والتعليم.

المراجع

- i. القرآن الكريم
- ii. إسرائ موسى محمد سليمان، المساجد ودورها في بناء الفرد والمجتمع - دراسة موضوعية، قدم هذا البحث استكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير في التفسير وعلوم القرآن بكلية أصول الدين في الجامعة الإسلامية بغزة، ديسمبر 2017
- iii. تاج العروس من جواهر القاموس، الحسيني، تحقيق: مجموعة من المحققين، مجلد 8
- iv. حمدان رمضان محمد، دور المسجد في تحقيق الاندماج السياسي في المجتمع العراقي المعاصر - دراسة تحليلية من منظور اجتماعي -، مجلة كلية العلوم الإسلامية، العدد الثالث عشر، المجلد السابع، 2013/1434.
- v. عبد السلام ياسين، العدل "الإسلاميون والحكم"، مطبوعات الصفاء للإنتاج، الطبعة الأولى، 2000

²⁹ - سورة النور، الآية 37-38.

vi. عبد الله قادري الأهدل، دور المسجد في التربية، موقع إلكتروني:

<https://books-library.online/a-6312-download>

vii. كمال عليوة المسلمي، الوظيفة التربوية للمسجد في ظل المتغيرات المجتمعية المعاصرة، مجلة كلية التربية ببور

سعيد، العدد السابع، يناير 2010

viii. نزهة الأعين، النواظر في علم الوجوه والنظائر، ابن الجوزي، تحقيق: محمد عبد الكريم كاظم الراضي، مجلد 1

ix. يوسف القرضاوي، العبادة في الإسلام، مكتبة وهبية، القاهرة، الطبعة الرابعة والعشرون، 1995-1416